مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

# سنوات المخاض السياسي العسير في الجزائر 1919 - 1939

# Hard Years Of Political Labour In Algeria 1919-1939

**الطاهر سبقاق**
قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
- جامعة الوادي – الجزائر
Sebgag-tahar@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 06-07-2019 . تاريخ القبول:25-11-2019

**ملخص -**

على الرغم من ضخامة الخسائر المادية و البشرية التي دفعها الجزائريون غصبا عنهم خلال الحرب العالمية الاولى الا ان الرصيد المكتسب من الخبرات بالغ الاهمية، ساهم في تنوير العقول و شحذ الهمم ورسم معالم المشهد السياسي في الجزائر وافرز شخصياته الفاعلة. لم تكن فترة مابين الحربين فترة هدوء او خمول في الجزائر بل على العكس من ذلك تماما، فقد استوعب الجزائريون اسباب فشل الثورات الشعبية التي امتدت من دخول الاستعمار الفرنسي عام 1830 الى ثورة الاوراس و ثورة الطوراق في الهقار عام 1916، كما استوعب الجزائريون مقاصد السياسة الفرنسية واهدافها المعلنة و الخفية، وقد استفادوا من ظروف الحرب و ما فرضته من احتكاك بأوربا حضاريا وخاصة فيما يتعلق بالحياة السياسية والثقافية و النشاط النقابي و الشؤون العسكرية، بالمحصّلة استثمار ذلك الرصيد في مواصلة الكفاح وتصويب الاخطاء السابقة ومواجهة المستجدّات بنفس جديد و عزيمة اقوى. هي ولادة جديدة من رحم القهر الاستبداد الاستعماري حيث برزت نخبة سياسية ناضجة تجاوزت اختلافاتها واتفقت على ارضية مشتركة من اجل مصلحة الوطن.

**الكلمات المفتاحية -**

الحرب – الجزائر – فرنسا – الكفاح الوطني – الاستعمار

**المؤلف المرسل: الطاهر سبقاق:** Sebgag-tahar@univ-eloued.dz

**Abstract-**

Despite The Enormous Amount Of Material And Human Losses That Algerians Have Paid For In The First World War, The Accumulated Experience Was Very Important In Terms Of Its Contribution To The Enlightenment Of Minds And The Sharpening Of Motivation.It Outlined The Political Landscape In Algeria And Highlighted Its Influential Personalities. It Seemed As Though The Period Between The Two Wars Was A Period Of Calm And Inactivity In Algeria, But What Was Happening Was Exactly The Opposite, The Algerians Absorbed The Causes Of The Failure Of The Popular Revolutionaries From The Beginning Of French Colonialism In 1830 To The Aures And Hoggar Revolutions In 1916, Algerians Also Benefited From The Conditions Of War And The Friction With European Civilization, Especially With Regard To Political And Cultural Life, Military Activities. Algerian Corrects Their Past Mistakes And Confront The New Developments With A Stronger Resolve.

It Was A New Birth For The Algerian National Movement, A Mature Political Elite Has Emerged And Is Aware Of Its Responsibilities, Able To Overcome Its Differences By Agreeing On Common Background For Consensus In The Interest Of The Nation.

**Keywords-**

Algeria- Colonialisme - France – Politic – Struggle – War.

**مقدمة**

**فشلت المقاومات الشعبية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، وان امتد بعضها الى نهاية العقد الثاني من القرن 20، لكن الملفت ان روح المقاومة لم تنطفئ جذوتها و سياسة الامر الواقع التي حاولت فرنسا فرضها على الجزائريين لم تنطل على احد، ولم تفلح سياسة الترغيب و الترهيب قبيل و خلال الحرب العالمية الاولى في تكميم افواه الجزائريين وفرملة طموحاتهم سياسية، انتهت الحرب العالمية الاولى وكانت فاتورتها غالية جدا على الجزائريين ماديا وبشريا، وعلى الرغم من ذلك كانت نهايتها بداية جديدة في قصة الكفاح الوطني الجزائري حيث تفتحت العقول و نضجت الافكار و عجزت فرنسا عن استيعاب ما حدث وتحوّلت مبادرات ذر الرماد في العيون على غرار اصلاحات فيفري 1919 الى صدمة كهربائية بناءة افرزت نخبة سياسية مستعدة للطرح و المناورة والتسويق للفكر السياسي النضالي في اوساط الجزائريين ، وظهرت على اثر ذلك ملامح**

التيارات و الاطياف السياسية التي رسمت بعد ذلك خارطة المشهد السياسي في الجزائر.

برزت حركة الشبّان الجزائريين بقيادة الامير خالد الذي تجذّرت مواقفه السياسية بسرعة و انتقلت من المساواة و الاصلاح الى الاستقلال في منتصف العشرينات ، وتبلورت بشكل متحفّظ ومحتشم مطالب الحركة الادماجية بقيادة بن التهامي و بن جلول و رفعت سقف مطالبها لما تولى فرحات عباس قيادتها فيما بعد من خلال مقارعة فرنسا بلغتها و ترسانتها القانونية. وفي بداية الثلاثينات في عزّ احتفالات فرنسا بذكرى مرور مائة سنة على احتلال الجزائر برزت الى الوجود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 لتفسد العرس الفرنسي و تؤكد ثبات عناصر الهوية الوطنية وتدعو الى الاعتزاز بها و تمجيدها.

تتمحور اشكالية معالجتي للموضوع حول الاجابة على السؤال التالي: الى أي مدى اسهمت السياسة الاستعمارية بطريقة غير مباشرة في تبلور اتجاهات الحركة الوطنية ؟ وما هي اهم الاتجاهات البارزة ؟

الى أي حد يمكن اعتبار مرحلة ما بين الحربين هي مرحلة ولادة جديدة للحركة الوطنية الجزائرية بمختلف اطيافها ؟

ستكون معالجتي للموضوع على ضوء المنهج التاريخي بمقاربات متنوعة انتقل فيها بين الوصف و التحليل و المقارنة و الاحصاء حسب ما تفرضه حيثيات الموضوع في شموله و في جزئياته.

### 1. اثار الحرب العالمية الاولى على الجزائريين

اتبعت فرنسا قبيل الحرب الكبرى سياسة مزدوجة، تمثلت الأولى في سياسة الخشونة أو العصا الغليظة -وهي امتداد للسياسة الفرنسية منذ الاحتلال وهي الأكثر استعمالا باعتبارها الأسهل والأضمن والأكثر فعالية في تقدير الفرنسيين، ومردّ ذلك رغبة فرنسا في تحصين نفسها وتدعيم مركزها في الجزائر من جهة واجتناب فتح جبهة أخرى معادية لها خلال الحرب، وإذا كانت سياسة الترهيب والعنف هي القاعدة فإن السياسة الثانية هي سياسة الترغيب والليونة وكانت هي الاستثناء وفقط عندما يتطلب الامر كسب تعاطف

الجزائريين وضمان إسنادهم بشريا و لوجيستيكيا خلال المواجهة العسكرية المتوقعة مع خصومها الأوروبيين .

في كل الحالات لم يكن للجزائريين مصلحة مباشرة في حرب استعمارية تستهدف اقتسام مناطق النفوذ بين الكبار على حساب الصغار، لكن السياسة الفرنسية هي التي أقحمتهم فيها غصبا عنهم، ولم يقتصر ذلك على الجزائر، فقد كان مصير كل المستعمرات مرهون دوما بإرادة المستعمر وأوضاعها انعكاس لأوضاعه، وعلى هذا الأساس تم إلحاق - وليس التحاق -" أزيد من 173 ألف جزائري"[1] للمشاركة في حرب لا تعنيهم وهي مشاركة اضطرارية بامتياز بدليل وقوع العديد من حالات التمرد و الفرار في صفوف الجيش الفرنسي، كما لجأ الكثير من الجزائريين إلى الخارج هروبا من التجنيد الإجباري ولتجاوز ازمة الضمير التي اوقعته فيها مسألة الخدمة العسكرية تحت راية المحتل الاجنبي غير المسلم وما رافق ذلك من استفهامات دينية و اخلاقية كثيرة[2] وعلى الرغم من ذلك قامت فرنسا بسجن الرافضين للتجنيد والذين بلغ عددهم 17 ألف سنة 1915 و ارتفع هذا العدد بين 1915 و 1916 الى 350 ألف.

في نفس السياق أعلنت فرنسا حالة الطوارئ وأرسلت عدد هام من العسكريين ما بين 200 إلى 300 ألف جندي لقمع أي تحرك ثوري محتمل، وسنت قانون جائر يمنح لفرنسا إمكانية تجنيد أبناء الجزائريين لمدة ثلاث سنوات ابتداء من سنة 1911 كما أصدرت قانون سبتمبر 1916 الذي يبيح لفرنسا تجنيد العمال الجزائريين لخدمة الأغراض الحربية وبمقتضاه تم إرسال ما يزيد عن "120 ألف جزائري للعمل في المصانع الفرنسية"[3]

بالموازاة مع تلك الخشونة قامت فرنسا بتقديم وعود معسولة بتحسين أوضاع الجزائريين و تكريس المساواة بينهم وبين الفرنسيين في الحقوق والواجبات كما أطلقت سراح العديد من المساجين مقابل انخراطهم للمشاركة إلى جانبها في الحرب أي وضعهم أمام خيارين " الموت في ساحة الحرب أو الموت في السجون" ؟ ! كما نشطت أجهزة الدعاية لتدعيم وترسيخ فكرة القدرية "المكتوب" بدغدغة العواطف والمشاعر الدينية لدى الجزائريين وفي سياق مشابه عملت على "استمالة بعض الأعيان و رجال الدين والجمعيات وحثهم عن إصدار تصريحات وفتاوى تشجع على الولاء لفرنسا. وجنّدت ايضا الموالين لها على جمع تبرعات

لفائدة فرنسا وتكريم المتبرعين و تقديم أمثلة عن المتطوعين في الجيش الفرنسي وإظهارهم على هيئة أبطال يجب الإقتداء بهم. من جهة أخرى عملت مصالحها على التحذير من مخاطر التأثر بالدعاية الوهابية والقومية العربية و الدعاية النازية الألمانية والأفكار الشيوعية في الجزائر حتى لا ينساق وراءها الجزائريون ويضعف ولاءهم لها.

بالاضافة إلى ما سبق حدثت انتفاضات واضطرابات عديدة في الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى تدل دلالة قاطعة على رفض الجزائريين للمشاركة في الحرب مثل "انتفاضة بني شقران[4] بمعسكر بقيادة الشيخ عثمان الراشدي يوم 1914/10/5"[5]، و الهجوم العمالي على تنس سنة 1916 والاضطرابات التي عرفتها المدية و برج بوعريريج وتلمسان في نفس السنة، ناهيك عن الانتفاضات العنيفة التي شهدتها منطقة القبائل و الاوراس و الهقار.

لم يبق شك إذن في ان المشاركة الجزائرية في الحرب العالمية الأولى كانت إجبارية، وان آثارها كانت وخيمة على الجزائريين، فالحرب كيفما كانت ومهما كانت أطرافها و دواعيها سيكون ثمنها غاليا جدا، وقد كان الأمر كذلك بالنسبة للجزائريين لأن فرنسا استخدمت المجندين الجزائريين كدروع بشرية في الصفوف الأمامية ولا تزال الوثائق و المقابر الفرنسية والأوربية شاهدة على ذلك مثل مقبرة فردان[6] في فرنسا ومقبرة صوفيا في بلغاريا"[7] .

كان ايضا لهذه الحرب آثار سيئة على الاقتصاد الجزائري الذي كان مكمّلا لاقتصاد فرنسا التي رصدت كل مقدرات الجزائر المادية و البشرية لخدمة جيشها في جبهات القتال.

من زاوية أخرى نجم عن إشراك الجزائريين في الحرب العالمية الأولى عدّة آثار ايجابية عند احتكاكهم بشعوب أوربا وحضارتهم فغنموا تجارب و خبرات عسكرية و افكار سياسية و نقابية وثقافية شكّلت رصيد ثريا و أرضية صلبة للانطلاق في الكفاح الوطني التحرري ضد الاستعمار الفرنسي خلال فترة ما بين الحربين 1919 - 1939.

في المجال السياسي ساهم اطلاع المهجّرين و المهاجرين الجزائريين عن كثب على أساليب النضال و مختلف ضروب التنظيم السياسي في أوروبا عموما و فرنسا خصوصا، فإنفتحت عيون الجزائريين و تنوّرت عقولهم و شحذت هممهم

وعزيمتهم على الكفاح ضد المستعمر، و لا غرو في ذلك فإذا عدنا إلى إرهاصات العمل السياسي في الجزائر في العشرينيات و نظرنا إلى تركيبة طلائع المناضلين الشباب فإننا نجد اغلبهم إن لم يكن كلهم من الذين شاركوا أو أقحموا في الحرب العالمية الأولى إلى جانب فرنسا و تأثروا بذلك الزخم و النشاط السياسي و حاولوا استثماره و توظيفه في المعركة ضد المستعمر الفرنسي ومن ألمعهم آنذاك الأمير خالد الجزائري[8] و الدكتور بن جلول[9] وفرحات عباس[10] و مصالي الحاج[11] و غيرهم.

ليس مستبعدا ان النظام الفرنسي قد استشعر تلك العودة المختلفة للمجندين الجزائريين والرصيد الجديد الذي عادوا به من هناك وهو ما يفسّر قيام فرنسا بعمل سياسي استباقي لاجهاض أي مساعي او جهود احتجاجية وذلك من خلال اصدار حزمة من الاصلاحات عام 1919 بغرض مكافأة حلفائها وامتصاص غضب خصومها. بالفعل شغلت هذه الاصلاحات المشهد السياسي الجزائري وقسمت النخبة الجزائرية الناشئة الى جناحين احدهما مؤيد دون قيد او شرط وهم الادماجيون بقيادة محمد الصالح بن جلول و اخر مؤيد بشروط وهم دعاة المساواة بقيادة الامير خالد الجزائري.

### 2. الأمير خالد الجزائري وإصلاحات 1919

إن مشاركة وإشراك الجزائريين في الحرب العالمية الأولى هو الذي ساهمت بطريقة غير مباشرة في تشكيل المشهد السياسي في الجزائر وحددت أطيافه و شخصياته الفاعلة و من ابرز هذه الشخصيات حينها الأمير خالد النقيب الصبايحي[12] في الجيش الفرنسي والذي بعد عودته من جبهات الحرب إلى الجزائر كان من المع النشطاء السياسيين الذين استفادوا من عدة ظروف أهمها:

- نهاية الحرب العالمية الأولى و عودة الجزائريين المشاركين في الحرب.
- الإعلان عن مبادئ الرئيس الأمريكي وودراو ويلسون و التي من بينها حق الشعوب في تقرير مصيرها ( المبدأ الخامس).
- ابداء الامير خالد لتحفظاته حول الإصلاحات الشكلية التي أصدرتها فرنسا في الجزائر في شهر فيفري 1919 والتي فتحت المجال أمام الجزائريين لاكتساب الجنسية الفرنسية شريطة التخلي عن أحوالهم الشخصية بالإضافة

إلى شروط تعجيزية أخرى :" إتقان اللغة الفرنسية كتابة و نطقا، الحيازة على ملكيات و أوسمة شرف عسكرية فرنسية."

- الاستفادة من شهرة جده و انتمائه الى خيمة عريقة.
- دعوته للمساواة دون التفريط في مقومات الشخصية الجزائرية.
- الاستفادة من انتمائه للمؤسسة العسكرية الفرنسية علاوة على انه عارف بشؤون الفرنسيين قوانينهم و افكارهم و ردود افعالهم.
- ضعف موقع خصومه الادماجيين وضيق وعائهم الشعبي

كل هذه العوامل ساهمت في بروز حركة الأمير خالد ونجاحه في الانتخابات البلدية التي جرت في الجزائر العاصمة في ديسمبر عام 1919 على حساب دعاة الإدماج امام دهشة الاوروبيين حيث صوّت الاهالي بقوة للامير خالد وحسب تقرير للحاكم العام" كان النقيب خالد البطل الوحيد في عالم الاهالي، وانتصاراته المدوّية قد فاقت الخيال مانحة له مكانة معتبرة في المقاطعات الثلاث وتم بهذه المناسبة استذكار مأثر الجد الامير عبد القادر[13]، وأصبح ينعت الامير خالد و جماعته بحركة الشباب الجزائري او حزب الإصلاح أو حركة المساواة.

كان برنامج حركة الأمير خالد مبنيا على المطالبة بالمساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في الحقوق و الواجبات دون المساس بمقومات الشخصية الوطنية، كما طالب بإصلاحات سياسية تمس القوانين الردعية، و يظهر جليا من خلال مطالب الحركة أنها حركة سياسية وطنية، و قد عارض الأمير خالد سياسة الإدماج التي كانت تطالب بها جماعة النخبة المنبهرة بفرنسا و نادي ببرنامج إصلاحي قائم على فكرة المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين و تطبيق القانون العام على الجزائريين دون تمييز و فتح الوظائف أمام الجزائريين[14]، و قد حدّد مطالب الجزائريين في مختلف رسائله، ففي رسالته إلى الرئيس الأمريكي ويلسون دافع على حقوق الجزائريين السياسية[15]، أما رسالة الأمير خالد إلى الرئيس هيريو[16]فقد ضمنها المطالب الأساسية للجزائريين وسماها " برنامج مطالبنا الأساسية " و في مقدمتها :

- تمثيل الجزائر في المجلس الوطني الفرنسي بنسبة متساوية لنسبة الكولون.

- إلغاء كل القوانين الردعية.
- رفع الحواجز أمام وصول الجزائريون إلى كل الوظائف.
- فصل الإسلام عن الدولة الفرنسية [17]

وقد ظلت حركة المساواة تصنع الحدث السياسي بين سنوات 1920إلى 1923 بمواقف الأمير خالد الإصلاحية، والذي استغل كل المناسبات السياسية لتقديم مطالبه، فخطب أمام الرئيس الفرنسي ميليران أثناء زيارته للجزائر في ربيع 1922، و كانت خطبته هامة من حيث الأفكار المطروحة مما جعل فرنسا تقوم بنفيه سنة 1923، ورغم تواجده بالمنفى إلا أن الأمير خالد واصل نشاطه السياسي بالمشاركة في المؤتمرات السياسية، فنجده قد راسل رئيس الوزراء هيريو سنة 1924، والتقى مع مصالي الحاج و حاج على عبد القادر هناك في فرنسا ليؤسسوا حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1926 [18]وهو الحزب الطليعي الذي انفرد بمطلب الاستقلال صراحة و قاد الكفاح الوطني السياسي و بعده الكفاح المسلّح تحت مسمّيات عديدة تبعا للظروف و المعطيات السائدة في فرنسا والجزائر.

### 3. النضال السياسي في الجزائر حتى 1936

واصل دعاة الإدماج بقيادة الدكتور بن جلول وبن التهامي ثم فرحات عباس وهم من الذين تأثروا بالتماس مع أوروبا سياسيا وحضاريا واجتماعيا وثقافي وتعزز لديهم عنصر الاعجاب و التماهي في فرنسا، ساهم هؤلاء ايضا في تنشيط المشهد السياسي في الجزائر لكن الذي برز نجمه اكثر من ضمنهم في منتصف العشرينات كان فرحات عباس الذي نشّط الحركة الشبانية و الجمعوية و الاعلامية ثم احتكر فعاليات العمل السياسي وسيطر على الحقل السياسي برمته خاصة قبيل وخلال الحرب العالمية الثانية مستفيدا من مهادنة فرنسا له وتغاضيها عن نشاطه ومضايقتها لكل منافسيه باستثناء الشيوعيين .

عشية الاحتفالات بالذكرى المئوية للاحتلال 1930 و التي أرادت فرنسا من خلالها إقناع نفسها بأنها نجحت في إحكام سيطرتها على الجزائر وضمنت ديمومة خضوعها، في هذا الوقت بالذات انضم فصيل جديد فنّد هذا الاعتقاد على ارض الواقع قادته شخصية من عائلة جزائرية عريقة حظيت باحترام كبير من الجميع بما في ذلك الإدارة الاستعمارية وهي شخصية الإمام عبد الحميد بن باديس الذي التقى رفقة العديد من المشايخ و الفقهاء و المصلحين

أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي و العربي التبسي والطيب العقبي و الأمين لعمودي ومبارك الميلي وغيرهم، التقى ما يقارب 82 شخصية في نادي الترقي بالجزائر العاصمة يوم 1931/05/5 وأسفر لقاؤهم على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[19] وهي " تنظيم ديني ثقافي غير سياسي" [20] بالاساس الا أنها في منتصف الثلاثينات لعبت أدوارا سياسية ساهمت في ترسيخ الوعي الوطني بضرورة الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية و المشاركة في معركة الكفاح من أجل الاستقلال، فأصبحت طيفا جديدا من اطياف الحقل السياسي الوطني.

صادف الجمعية في بداية نشاطها حدث هام على الصعيد السياسي في فرنسا كانت له تداعياته على كل المستويات في الجزائر وفي المستعمرات الأخرى ألا وهو وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم سنة 1936 وانتقال القيادة في فرنسا من اليمين إلى اليسار[21]، فتولدت عن ذلك آمالا كبيرة لدى كثير من الاتجاهات السياسية في الجزائر ولاسيما دعاة الإدماج بقيادة فرحات عباس ومن ورائه النخبة الجزائرية ودعاة الإصلاح من جمعية العلماء بقيادة عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي، بالإضافة إلى الشيوعيين الذين اعادوا هيكلة أنفسهم عام 1936 تحت لواء تنظيم جديد سمي الحزب الشيوعي الجزائري - ولو انه يضم في صفوفه الكثير من الفرنسيين - وهذا بعدما كان فرعا تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي يتلقى أوامره مباشرة من باريس[22].

أما الاتجاه الاستقلالي فقد مثّله أعضاء حزب نجم شمال إفريقيا المنحل عام 1929 فقد استمر هؤلاء في نشاطهم بشكل سري ثم هيكلوا انفسهم تحت لواء تنظيم جديد سمي حزب الشعب الجزائري ابتداء من 1937[23]، وقد كان هؤلاء اقل حماسا و اقل تفاؤلا بمجئ الجبهة الشعبية التي كان سقف تنازلاتها وإصلاحاتها لا يرقى ولا يروق لطموحات الشعب الجزائري وبقيت سياسة الإدماج هي ورقتها الأساسية في اللعبة السياسية وخير دليل على ذلك محتوى مشروع بلوم - فيوليت[24] الذي باركته حكومة الجبهة.

4. من المؤتمر الإسلامي إلى منع النشاط السياسي عشية الحرب العالمية الثانية

يمكن القول أن انعقاد المؤتمر الإسلامي الأول (1936) والثاني (1937) وخاصة الأول رغم ضحالة أطروحاته وضآلة نتائجه إلا أن انعقاده وتركيبة الاتجاهات السياسية التي تفاعلت معه كانت مؤشرات ذات دلالات واعدة تؤكد على ثراء

الحقل السياسي الجزائري ونمو الوعي السياسي لديه وإلا بما نفسّر قدرة هذا المؤتمر على جمع اتجاهات سياسية متناقضة إيديولوجيا لكنها استطاعت أن تجد أرضية مشتركة لتحقيق حد أدنى من الأهداف لفائدة الشعب الجزائري، كذلك ان التقاء هذه الأطراف في المؤتمر الإسلامي على اختلاف مرجعياتها في ظروف فرنسية غلب عليها التعفّن و ظروف أوروبية غلب عليها طابع التوتر والصدام بسبب سياسة هتلر الخارجية. كان ذلك فعلا توقيتا مناسبا للضغط على فرنسا التي كانت تتطلع بحذر وارتباك على حدودها مع ايطاليا و ألمانيا اللتان كانتا تعملان جاهدتين لإضعاف فرنسا في مستعمراتها من خلال تشجيع سكان المستعمرات على الثورة وعدم التعاون مع الفرنسيين عند حدوث الحرب وقد كان لهذا العمل المكثف إعلاميا ودبلوماسيا واقتصاديا مفعوله لأنه وجد أذان صاغية و قلوب متعاطفة من بعض الجزائريين اقتناعا بمبدأ " عدو العدو صديق"وبدأ البعض يتطلعون إلى مساعدات عسكرية واقتصادية ألمانية وايطالية لضرب فرنسا من الداخل "ومن الشباب الجزائريين الذين تحمّسوا للاتصال بألمانيا والحصول على مساعداتها المالية والعسكرية لمقاومة فرنسا، الشاب محمد بوراس قائد الكشافة الإسلامية والذي تمكنت السلطات الاستعمارية الفرنسية من اكتشاف اتصالاته فقامت بإعدامه"[25] ، وقد نسي هؤلاء أن الحرب العالمية الثانية -وحتى الأولى وأغلب الحروب -كانت عالمية الوقائع والآثار لكنها استعمارية الأسباب والأهداف أولا. جميع الإطراف - وبالتحديد الدول الكبرى -كانت تحركها أهداف ونزعات استعمارية بغرض التوسع وبسط النفوذ والبحث عن الأسواق والمواد الأولية والتحكم في المواقع الجيو - إستراتيجية على حساب الشعوب الضعيفة والمغلوبة على أمرها.

**5. انعكاسات الوضع الاقتصادي و الاجتماعي على العلاقة الجزائرية – الفرنسية**

إن السياسة الاستعمارية الفرنسية اعتمدت على الاستيطان كوسيلة للهيمنة على الأرض والإحراز على التفوق العددي على الجزائريين من جهة، واعتمدت من جهة ثانية على سياسة الإدماج كهدف يؤدي إلى بسط النفوذ والسيطرة على البلاد والعباد وتجسيد فكرة " الجزائر قطعة من فرنسا" وقد كان لهذه الإستراتيجية الاستعمارية أسوأ الآثار على اقتصاد الجزائر ونسيجها الاجتماعي.

من المعلوم أن الاقتصاد الجزائري آنذاك ذو طابع زراعي ريفي وبالتالي فالنشاط الأساسي للسكان هو الزراعة والرعي وبما أن العمود الفقري لهاذين النشاطين هو الأرض لذا نجد النظام الاستعماري تبنّى سياسة شاملة للتحكم في الأرض حيث تم إحصاء الأراضي ومسحها طوبوغرافيا، وجرّد الفلاحين الجزائريين من ممتلكاتهم عبر المصادرة والتهجير وتمكين المعمرين منها، الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، وتشجيعهم على الاستيطان في الجزائر خدمة للوطن لتوسيع رقعته والزيادة في حجم خيراته و خدمة للدين المسيحي لتوسيع انتشاره، يكفي أن نورد مثالا على ذلك ما عرضته الدعاية الفرنسية الموجهة للمعمرين لحثهم على التوجه نحو الجزائر، من يلبي النداء يتحصل على قطعة أرض مجانية لا تقل عن 5 هكتارات زيادة على الإعفاء من الضرائب كما يتحصل الراغب على تذكرة سفر مجانية نحو الجزائر لكن ذهابا فقط ؟! ولتعبيد الطريق أمام هذه السياسة الاستيطانية أصدرت فرنسا ترسانة من القوانين العقارية و الجبائية مكنتها من وضع يدها على الأراضي والماشية والمحاصيل الزراعية ومصادر المياه والعمال الفلاحين . وكنتيجة لهذه السياسة الاستعمارية تحكمت فرنسا في مصادر رزق الجزائريين وغذائهم وساهمت بشكل فضيع في تفقير وتجويع وتهجير وتشريد سكان الجزائر وبالتالي تفكيك البنية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد.

تفاقم الوضع أكثر خلال فترة ما بين الحربين 1919 - 1939 بسبب ضخامة الفاتورة التي دفعها الجزائريون خلال الحرب العالمية الأولى لان فرنسا كانت قد رصدت كل إمكانيات الجزائر المادية والبشرية لخدمة جبهات الحرب وتواصل مسلسل الاستغلال وامتصاص خيرات الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى لإعادة إعمار فرنسا وإنعاش اقتصادها، ثم جاءت الأزمة الاقتصادية العالمية 1929 لتلقي بظلالها على الجزائر وتزيد من في حجم معاناة الجزائريين فتناقص الإنتاج الزراعي والحيواني وارتفعت الأسعار بشكل فاحش حيث اشار شارل روبير اجرون في كتابه "تاريخ الجزائر الحديث "....عرفت الجزائر مناخ اقتصادي في غاية الصعوبة تميز بارتفاع فاحش للأسعار وانتشرت فضائح السوق السوداء فأصبحت الجماهير أكثر راديكالية ولقيت الأفكار الوطنية رواجا اكبر..."[26] و قد انخفضت ايضا القدرة الشرائية للجزائريين وتدنى مستوى

معيشتهم، وقد لجأ النظام الاستعماري إلى القيام بإصلاحات لمعالجة الأمر لكن هذه الإجراءات لم تكن لتهتم بشؤون الجزائريين فالذي يعنيها هو حال المعمّرين الذين استفادوا من برامج دعم بالقروض وتطوير الري الحديث، وقد انعكست هذه المعاملة على الوضع الاجتماعي للجزائريين فانتشر البؤس وتفشت البطالة وتوترت العلاقة بين المستعمر والسكان وارتفع زئبق الاحتقان أكثر جرّاء التدابير الوقائية التي أقدمت عليها سلطات الاحتلال في إطار التعبئة العامة والاستعداد للحرب العالمية الثانية بتجنيد كل الطاقات -مرة أخرى ودائما - لخدمة الأغراض الحربية الفرنسية.

على الرغم من السياسة الاستيطانية الاستعمارية وآثارها على المستويين الاقتصادي والاجتماعي فإن عدد السكان الجزائريين كان في تزايد مستمر حيث " انتقل عدد السكان من أكثر من 4,7 مليون نسمة سنة 1911 إلى أكثر من 5,5 مليون نسمة سنة 1931 بينما ارتفع عدد الأوروبيين في نفس الفترة من 752 ألف نسمة إلى 881 ألف نسمة أي أن هناك زيادة في عدد الجزائريين قدرها 800 ألف نسمة في ظرف عشرين سنة بينما زيادة الأوروبيين لم تتجاوز 130 ألف نسمة في نفس المدة."[27] . بقي التفوق العددي اذن لصالح السكان الأصليين، وهو الهاجس الذي يؤرق مضاجع المعمرين حيث لم تنجح سياسة الاستيطان والإبادة والتهجير في ترجيح الكفة لصالح الغزاة ، ولو أن هذا التزايد من جهة أخرى كرّس الفقر والبؤس أكثر من حيث توزيع الدخل الذي هو بالأصل لا يتناسب مع حاجيات السكان ولا مع متطلبات الحياة الكريمة بشكل عام.

### 6. ارهاصات الحرب العالمية الثانية

في ظل الظروف السالفة الذكر ازدادت الأوضاع الأوربية تعفّنا وبلغت العلاقات الدولية درجة عالية من التوتر في بشكل أصبح ينذر باقتراب موعد انفجار الحرب العالمية، عندها لجأت فرنسا إلى إتباع سياسة وقائية لتجنب الوقوع بين نيران النازية والكفاح الوطني في الجزائر فأعلنت حالة الطوارئ واعتقلت الشخصيات الوطنية الفاعلة وزجّت بها في السجون ( مصالي الحاج و الإبراهيمي.....).

من جهة أخرى حلت فرنسا حزب الشعب الجزائري وسجنت زعيمه مصالي الحاج و أعضاء آخرين أمثال « معروف بومدين، محمد خيضر، الشاذلي المكي، عمار بوجريدة، مفدي زكريا و اخرون بحجة قيامهم بنشاط معادي لفرنسا وتحريضهم للجنود الجزائريين على العصيان وعدم المشاركة في الحرب ضد السوريين في بلاد الشام[28] . كما ضيّقت فرنسا الخناق على جمعية العلماء و الشيوعيين، في حين اندفع النواب و النخبة إلى تأييد فرنسا"الديمقراطية" ضد ألمانيا "النازية" فتطوع زعيمهم فرحات عباس الذي التحق بجبهات القتال كصيدلي احتياطي لخدمة الحرية. تكرّر نفس المشهد الذي حصل قبيل و خلال الحرب العالمية الأولى حيث نشطت وسائل الدعاية الفرنسية لإظهار الجزائريين كمخلصين لهم مستشهدين على ذلك بما يردهم من تأييد من بعض الأسر الكبيرة و رجال الدين الرسميين، وأصحاب الأوسمة والشهادات،وقدماء المحاربين، وطائفة القياد والباشاغوات وشيوخ العرب[29] وليس هناك أفصح مما صرّح به الحاكم العام جورج لوبو في كلمته بالراديو الجزائري قائلا: « إن عملية الاستنفار في جزائرنا تجري بطريقة تثير الإعجاب في نظامها وانضباطها[30]. بالفعل تمكنت فرنسا من تجنيد« 136000من الجزائريين وضعتهم في الصفوف الأولى من جيشها وقد سقط منهم 12000في جبهات الحرب بأوروبا[31]وكان جزاءهم ابشع جزاء في نهاية الحرب.

وصل اليسار الفرنسي في هذه الظروف الى الحكم ممثّلا في الجبهة الشعبية فأصدرت حكومته الجديدة مشروع بلوم –فيوليت المذكور اعلاه لامتصاص غضب الجزائريين و اشغالهم به، و تغاضت نفس الحكومة جزئيا وانتقائيا على النشاط السياسي بالجزائر فاشتغل الادماجيون بأريحية في الحقل السياسي.

في السنة نفسها انفصل الحزب الشيوعي الجزائري عن الحزب الشيوعي الفرنسي، كما أعاد حزب نجم شمال إفريقيا هيكلة نفسه تحت مسمى جديد هو حزب الشعب الجزائري سنة 1937، و كان المؤشر الأكثر دلالة على مهادنة فرنسا للجزائريين بغرض استمالتهم، هو تعاملها مع مقترحات المؤتمر الإسلامي الجزائري عام 1936، واستقبالها لوفد المؤتمر في باريس من قبل ليون بلوم و موريس فيوليت، وقد مكث الوفد الجزائري بفرنسا ستة أيام.

سقطت حكومة ليون بلوم يوم 22 جوان 1937 و انعكس ذلك سلبيا على العلاقات الفرنكو - جزائرية خاصة لما قامت الإدارة الاستعمارية في الجزائر بتجميد الحياة السياسية كإجراء وقائي قبيل الحرب، لم يبق من مظاهر النشاط السياسي العلني سوى نشاط النواب بقيادة فرحات عباس.

عموما يمكن القول أن القرب الجغرافي بين الجزائر و مقر الحكومة الفرنسية في باريس ساهم في تضييق الخناق على الجزائريين و فرملة نشاطهم السياسي، هذا بالاضافة الى تخوّف فرنسا من الوقوع بين نارين، النازية والفاشية من جهة والحركة الوطنية الجزائرية من جهة ثانية. بسبب ظروف القهر والاستبداد زادت عزيمة الجزائريين وتجذرت مواقفهم وتمسكوا اكثر بخيار التعبئة السياسية و المواجهة النضالية بمختلف الاشكال و الاساليب. فكان هدوء فترة ما بين الحربين هو هدوء ما قبل العاصفة هدوءا سياسيا ثم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية اتسم بازدواجية العمل السياسي و العسكري.

**الخاتمة**

تتبعنا افرازات الحرب العالمية الاولى على المستوى السياسي و الثقافي و الفكري و كيف استفاد الجزائريون من الحرب في اكتساب خبرات جديدة سيايا و عسكريا و نقابيا و اعلاميا وثقافيا رغم بشاعة الحرب و الارواح الجزائرية التي سقطت فيها، غصبا عن فرنسا الحرب دمّرت الاجسام لكنها بنت العقول و زرعت الافكار الجديدة و ايقظت الهمم وكرّست قيم الحرية و العدالة في نفوس الجزائريين ، فكانت النتائج عكسية لما توقّعه الفرنسيون على الرغم من الاستغلال و الاذلال في الداخل و الخارج لكن الجزائريين

استثمروا المكتسبات الجديدة غصبا عن فرنسا التي استمرت في مراوغاتها و تضليلها الا ان النخبة الجزائرية في مجملها تعاملت مع معطيات الجديدة بعد الحرب بذهنيات جديدة ساهمت بوضوح في رسم خارطة المشهد السياسي بكل اتجاهاته و نشطت الحقل السياسي لتنوير الشعب و فضح السياسة الاستعمارية . وقد كان ميلاد الاتجاه الاستقلالي ممثلا في حزب نجم شمال افريقيا - امتداد لحركة المساواة التي بدأها الامير خالد الجزائري - كان ظهور هذا الحزب منعطفا حاسما في مسار و مسيرة الكفاح باعتباره اول حزب مغاربي وعربي وافريقي يطالب بالاستقلال و جلاء الجيش الاستعماري الفرنسي وبناء دولة ديمقراطية في منتصف عشرينات القرن العشرين، فهو سبق مميز و فتح مبين.

تابعنا ايضا انه الى جانب هذا الاتجاه الاستقلالي برزت خلال فترة ما بين الحربين اتجاهات أخرى اصلاحية و ادماجية و شيوعية اثّرت الحياة السياسة و رفعت من مستوى الوعي الجماهيري و أربكت حسابات المستعمر ، و رأينا انه بفضل ما شهدته الجزائر من تبلور و تطور سياسي لم تنجح فرنسا في تضليله وجرّه للاصطفاف بجانبها في الحرب العالمية الثانية، وحتى ما كسبته من استقطاب قبيل وخلال الحرب العالمية الثانية خسرته مباشرة بعد نهايتها بسبب رعونتها و سوء تقديرها فانقلبت الدائرة عليها وحدث التحوّل الراديكالي في مواقف حزب الشعب -حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذي سيقود حركة الكفاح المسلح لاحقا.

**ان ما يجب ادراكه في الاخير هو انه من رحم تلك الظروف المعقّدة محليا و المتوترة خارجيا تشكّلت نواة الحركة الوطنية الجزائرية و ارتسمت ملامح اتجاهاتها ومظاهر نشاطا تها و نضجت قياداتها التي ستستفيد اكثر من تفاعلات و افرازات الحرب العالمية الثانية لتنتقل الى استراتيجية جديدة في الكفاح الوطني التحرري اقترن فيها العمل السياسي و العسكري وكانت محصّلته النهائية قيام الثورة التحريرية الكبرى.**

## الهوامش-

[1] R.M.Cornevin(1964) Histoire de l'Afrique des origines a la 2eme guerre mondiale, petite bib Payot , paris , p,339

[2] جمال، قنان(1994) قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، ص 173.

3 Ibid.

[4] للمزيد انظر: http://eldjazaer.tripod.com/resbenichougrane.htm تمت زيارته يوم 2019/01/24 الساعة 15:45

[5] A.T.Bendiab (1983), Chronologie des faits et mouvements sociaux et politique en Algérie 1830-1954, imp du centre, Alger, p32.

[6] للمزيد حول مقبرة فردان انظر: https://www.lemonde.fr/societe/article/2006/02/21/verdun-lieu-de-memoire-musulman_743470_3224.html وللاطلاع على قائمة المجنّدين الذين دفنوا في المقبرة انظر: https://verdun-meuse.fr/images/files/Registre_carre_musulman_necropole_de_Douaumont.pdf

[6] موقع الكتروني يعرض صور موّثقة عن المقبرة www.okbob.net تاريخ الزيارة: 2009/09/25 على الساعة 9.

[8] الامير خالد الحسني بن الهاشمي (1875 -1936) حفيد الامير عبدالقادر، التحق بكلية سان سير العسكرية وتخرّج منها رقيب صبايحي ثم ترقى نقيبا، شارك في الحرب العالمية الاولى، خاض معارك في الجزائر والمغرب وفرنسا، ساهم بعد نفيه الى فرنسا في تأسيس نجم شمال افريقيا 1926 و عيّن رئيسا شرفيا له انظر : عادل نويهض، معجم اعلام الجزائر ، ص99 - 100.

[9] محمد الصالح بن جلول(1896 -1986) طبيب جزائري تخرّج من جامعة الجزائر سنة 1924 وهو مثقف و ناشط سياسي ضمن اتجاه النخبة الجزائرية.( موسوعة ويكيبيديا).

[10] فرحات عباس (1899 -1985) زعيم وطني ورجل سياسي، مؤسس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، عضو جبهة التحرير الوطني إبان الثورة، وأول رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة للجمهورية الجزائرية من 1958 إلى 1961، تمّ إنتخابه عند استقلال الجزائر رئيسا للمجلس الوطني التشريعي ليكون أول رئيس دولة للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، انظر : عز الدين ، معزّة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال

1985 -1899، مذكّرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2005، ص1—6.

11 مصالي الحاج(1898 -1974) زعيم وطني جزائري، أسس حزب نجم شمال افريقيا ثم حزب الشعب الجزائري، قاد الكفاح الوطني في الجزائر و فرنسا، انظر : عادل نويهض، معجم اعلام الجزائر ، ص 304 -305.

12 الصبايحية نسبة الى فوج الصبايحية الجزائريR.S.A : فرق عسكرية خيّالة من سكان الجزائر منذ العهد العثماني، كان الاتراك يسمون الجندي منهم "سباهي" وجمعهم "السباهية" وتعني سباهي: خيّال، حرّفها الفرنسيون "صباهي" واغلب الباحثين فضلوا صبايحي"اما عند عامة الشعب فيقولون"سبايسي وسبايس".

13 محفوظ قدّاش(2012) تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 -1951، تر، امحمد بن البار، ج1، دار الامة، الجزائر، ص120.

14 محفوظ قداش، محمد قنانش(2013) نجم شمال إفريقيا 1926 -1937 ،تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص52 -53.

15 ابو القاسم سعدالله(1983)الحركة الوطنية الجزائرية 1900 -1930 ،ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،ط3، الجزائر ، ص387.

16 نفس المرجع، ص386 -387

17 نفس المرجع، ص 388

18 نفس المرجع، ص 393 -394

19 توفيق المدني(1977) حياة كفاح،(مذكرات)، القسم الثاني في الجزائر(1925 -1954)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 179 -182.

20 ابو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 420.

21 ابو القاسم سعدالله(1992)،الحركة الوطنية الجزائرية 1930 -1945، ج3،ط4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ص135,

22 جمال، قنان، المرجع السابق، ص186.

23 محمد الطيب، العلوي(1994)، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 -1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص171 -180.

24 وضع مشروع بلوم – فيوليت على مكتب الجمعية العامة يوم 23 ديسمبر 1936 ونشر في الجريدة الرسمية الفرنسية يوم 30 ديسمبر 1936 وهو مشروع منح الحقوق السياسية لبعض الجزائريين للحصول ( الارتقاء ) على الجنسية الفرنسية، بدون التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، وهم قدماء الضباط ، وأصحاب الشهادات الجامعية، و النواب وهدف المشروع سلخ الفئة المثقفة، أو التي لها تكوينا عسكريا، أو مهنيا، أو سياسيا عن فئة العامة. وهو نسبة الى ليوم بلوم Léon Blum(1872-1950) رئيس الحكومة الفرنسية في حكومة الجبهة الشعبية بين 1936 -1937، وموريس فيوليتMaurice Viollette (1870-1960) وزير دولة فرنسي بين 1936 -1938.

25 محمد الطيب، العلوي، المرجع السابق، ص 186.

26 C.R.Ageron(1977), Histoire de l'Algérie contemporaine, puf, 6eme ed, paris, p 91.

27 R. Letourneau(1962), Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane1920-1961, lib Armand colin, Paris, p 306.

28 أبو القاسم، سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930 -1945، المرجع المذكور سابقا، ص 176.

29 نفسه.

30 نفس المرجع، ص 170.

31 G. Meynier(2002), Histoire intérieure du F.L.N 1954-1962 ,Fayard, paris,p.68.

## قائمة المراجع والمصادر


1 - سعدالله، ابو القاسم (1992)،الحركة الوطنية الجزائرية 1930 -1945، ج3،ط4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، .

2 - سعدالله، ابو القاسم (1983)، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 -1930، ج3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3 .

3 - المدني، توفيق (1977)، حياة كفاح،(مذكرات)، القسم الثاني في الجزائر(1925 -1954)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

4 - قنان، جمال(1994)، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، منشورات متحف المجاهد، الجزائر.

5 - قدّاش، محفوظ (2012)، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 -1951، تر، امحمد بن البار، ج1، دار الامة، الجزائر.

6 - قداش، محفوظ ، قنانش، محمد(2013) ، نجم شمال إفريقيا 1926 -1937 ، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

7 - العلوي محمد الطيب(1994)، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 -1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار، الجزائر.

8 - معزّة، عز الدين، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1985 - 1899، مذكّرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2005.

9 - نويهض، عادل(1980)، معجم اعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية،

10- Ageron C.R(1977), Histoire de l'Algérie contemporaine, puf, paris.

11- Bendiab, A.T(1983), Chronologie des faits et mouvements sociaux et politique en Algérie fdv;j/ 1830-1954, imp du centre, Alger .

12- Righi Abdellah(2006), Hadj Ali Abdelkader : pionnier du mouvement révolutionnaire algérien ,Ed Casbah, Alger.

13- Meynier G(2002),Histoire intérieure du F.L.N 1954-1962 ,Fayard, paris.

14- Letourneau R(1962), Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane1920-1961, lib Armand colin, Paris.

15- Cornevin R.M(1964), Histoire de l'Afrique des origines a la 2eme guerre mondiale, petite bib Payot, Paris.

16- http://eldjazaer.tripod.com/resbenichougrane.htm يوم 2019/01/24 الساعة 15:45

17- https://www.lemonde.fr/societe/article/2006/02/21/verdun-lieu-de-memoire-musulman_743470_3224.html

18- **https://verdun-meuse.fr /images/** files/Registre_carre_musulman _necropole_de_Douaumont.pdf

19- www.okbob.net